

صندوق الكتا كيت

للاستاذ أحمد أمين

الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما ، بعوضة فما فوقها ،
والكتكوت خير من البعوضة من جميع الوجوه ، فالبعوضة
منع ألم ، والكتكوت منبع لذة . والبعوضة إذا كبرت
كانت أقوى على اللدغ وأقدر على الإيلام ، بنفسها ومنتجاتها ،
والكتكوت إذا كبر كان دجاجة أو ديكاً ، يسيل لعاب
الإنسان إذا تصوره على مائدة أنيقة ، أو تخيله وقد أنضجه
طاه ماهر .

و ضرب الله الذباب مثلاً فقال تعالى ، إن الذين تدعون من
دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب
شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب . وأين
الذباب من الكتكوت ؟ وقد سميت في القرآن الكريم
سورته بالبقرة والنحل والنمل والعنكبوت .

وقرأت لأديب كبير لا أذكره الآن مقالا بديعاً في
زئبار أراد أن يخرج من شباك فاصطدم بزجاجه ، وحاوله
مراراً أن يخرج فلم يستطع ، فاستخرج الكاتب من ذلك
قطعة فنية طريفة في الحرية والاسترقاق ، وكيف يبحث
الزئبار عن حريته فلا يجدها ، ثم هو لا ينساها مهما صادفه
من عقبات ، وتحمل من آلام .

وكتب فيكتور هوغو قصة طريفة عن برغوث أنقذ
أمة من الأمم سلط عليها حاكم ظالم لم تستطع حمله على العدل
ولا إبعاده عن الحكم .

وبعد هذا وذاك كتب مستشرق كبير معاصر كتاباً جمع
فيه ما قيل من الأدب العربي في البراغيث ، واقترح عليه
مستشرق آخر أن يسمى الكتاب « صيغة المستشرق من
البراغيث » ، إلى ما لا يعد ولا يحصى .

إذن فنظرنا في اختيار الموضوع وأنه يجب أن يكون
أكاديمياً ، وأن يعنون عنواناً ضخماً يستعمل في اختياره
كل ضروب التكلف والتعمق والفلسفة ، نظرة أرسطراطية
بغضه يجب أن تتخلص منها وتهزأ بما جرى عليه العرف فيها .
على هذا النحو ظلت الشخصيتان تتناظران ، وظللت أصغى

كان أمس ، من أيام الشتاء المشهودة : ربح صيرة ، وليل
قرا ، حتى خصرت البعد ، وقففت الأسنان ، ويشت
الأطراف ، وتجلجلى « أمشير » بأجلى ما وسم به من هوج
ورعن . حتى لو كان طفلاً لسال لعابه ، أو رجلاً لسقطت
عنه التكليف .

ثم انجلي الليل عن صبح بديع : سماء صافية ، وشمس
مشرقة ، حاولت أن آتى لها بتشيه جديد ، فكانت الشمس
في السماء أجل من كل تشيه قديم وحديث .

غادرت حجرتي إلى حديقتي الصغيرة المتواضعة فوجدت
خادمي قد سبق ، فأخرجت صندوق الكتا كيت إلى الشمس
لينعم مائه بحرارتهم أودقها . وقع عليه نظري ، وصادف ذلك
منى تفكيراً في موضوع الرسالة .

شعرت إذ ذاك بشخصيتين من نفسى تتناظران مناظرة
عجيبة عنيفة أجبهما للقراء :

لم لا يكون (صندوق الكتا كيت) موضوعاً طريفاً ؟
إنه موضوع تافه لا يليق بأستاذ في جامعة ، ولا بمدرس ،
ولا بمساعد مدرس . إن الجامعيين وأمثالهم يجب أن تكون
موضوعاتهم في أعلى السماء ، أو أعمق الأرض ، ويجب أن
تصبغ بصيغة ميتافيزيقية ، ويكون فيها الجوهر والعرض ،
والكيفية والكيفية ، والائتية والعلية . أما صندوق الكتا كيت
فموضوع بشير الهزؤ والسخرية ، ويستخرج من النفس عاطفة
الازدراء والاحتقار

ليس ذلك بصحيح ، فكل شيء في الحياة موضوع أدب ،
وخير الأدب ما من الحياة الواقعية ، واستخرج من تافه
الأمشياء فكرة بديعة ، أو رأياً طريفاً . لقد قال تعالى : إن

اليهما وأقيد أفكارهما، الى أن طال الاخذ والرد، وأشفقت على القراء من استرسالهما في الجدل، وحاولت أن أبتعد عن الصندوق، وأهرب من الموضوع فلم أستطع .

أيها الكتكوت أفيك كل معاني الحياة، مشاكلكها ومظاهرها. فاسمك - أولاً - كتكوت ويجمع على كتاكيت، ولم أدر من أين أتى لك بهذا الاسم، فقد راجعت القاموس المحيط ولسان العرب، وغيرهما من كتب اللغة، فلم أجد فيها هذا اللفظ للدلالة عليك، ولا يستعمله إلا أهل مصر. أما أهل الشام والعراق فلا يعرفونه - أتعمدت اللغة إلهالك لحقارتك ؟ ذلك ما لا أظن، لا أتى أعلم أن اللغة ديمقراطية تعني بالجليل والحقير على السواء، بل اللغة العربية مفرطة في الديمقراطية فقد وضعت لأتفه الأشياء أسماء تعد بالمئات، واحتقرت أشياء عظيمة فلم تضع لها اسماً إلا كالراديو واليانو ومئات من المخترعات الحديثة، بل هم وضعوا لك اسماً آخر هو « الفرخ » ولكن الفرخ غير مقصور عليك، شاركه فيه كل صغار الطيور حتى استعملوه أحياناً في صغار الشجر والنبات، على أنهم وضعوا لك اسم (الفروج) فلم يطلقوه على غيرك من صغار الحيوان ولكنهم أشركوا معك فيه نوعاً من الإقنية وأمثالها ولعل العامة كانوا أنصف لك فوضعوا لك اسماً خاصاً، ومن أولى التخصص منك ؟

ولكن - مع كل هذا - لا أدرى من أين أتى اسمك « الكتكوت » فسأتركك لعلماء اللغة والاشتقاق ومقارنة اللغات، من سريانية وآرامية وفارسية وعبرية، لعلهم يجدون لك أصلاً - وعلى كل حال فقد أثبت أن فيك مشكلة من مشكلة الحياة العظمى، وهي مشكلة اللغة، وستثبت مشكلة أخرى أعظم من هذا وأعتقد، فبأن علماء اللغة استنكروا هذه الكلمة فأين سلطانهم على لفظك الذي تداولته العامة ونطقت به قروناً.

فهل إذا صدر قرار بمحو هذه الكلمة لأنها ليست عربية يسمع ويطاع . على أي وجه من الوجوه أنت مشكلة حتى في اسمك

هذه هي الخادم قد رمت الحب للكتاكيت، فلا تسال عما كان بينهما من خصام ونزاع، ومباراة وسباق وضرب وطعان وهل الإنسان الإلهذا - وهل تاريخ حياته النزاع وضراع، وقد عبروا عن ذلك أصدق تعبير فقالوا، إن الحياة جهاد - أوليس أكبر باب في كتب التاريخ هو تاريخ الحروب والفتوح، وإعلان الحرب، ومعااهدات الصلح . وكل الفرق بينك أيها الكتكوت وبين الإنسان أنك استعملت في جهادك ونزاعك متقاركة الوديع، وجسمك اللين الغض وجاء الإنسان الراقى، فاستعمل في الحصول على غذائه الكذب والخديعة والرياء والنفاق، واستعمل في مدافعة خصومه كل طرق الكيد والدهاء، واستخدمت الجماعات في حربها كل أنواع المدمرات والمهلكات - وقد أعطى الإنسان عقلاً أرقى من عقلك لينظم عيشه فأفسده، ولينظم السلم فظلم الحرب، وليعاون أخاه فعاداه .

- أيها الصندوق

فيك تنازع البقاء وبقاء الاصلح، فيك استكانة الضعيف وغلبة القوى، فيك الضعيف يكره العراك، وفيك القوى يصول ويحول، ويدعو الى النزال - فيك الجمال وفيك القبح - استأنست أيها الكتكوت بالإنسان صغيراً، ثم علمت أنك التجارب فقررت منه كبيراً.

و كنت مادة صالحة للغذاء كما كنت مادة صالحة للادب، فن قديم استعيرت منك الاستعارات اللطيفة، والالينات الجميلة، فقد قال الشاعر

أرى فتنة هاجت وباضت وقرخت

ولو تر كتن طارت إليها فراخها
وفي حديث عمر . يا أهل الشام تجهزوا لأهل العراق فإن الشيطان قد باض فيهم وفرخ

ثم قالت العامة « الكتكوت الفصيح من البيضة يصيح » وأخيراً، فيك سر الحياة الغامض - كيف دببت الحياة فيك